الإسلام الحقيقي في مواجهة الإرهاب (27)
الفلسفة ومخاطبة الغرب 26 ـ 1

لم يخض الإسلام حربا مع الغرب إلا وكان النصر حليفه، ولم يدخل الإسلام أي معركة رغبة منه بل دائما هم الذين يجرونه إلي ساحة المعركة بالقوة ويقذفونه بتهم كبيرة وخطيرة هو بريء منها كبراءة الذئب من دم يوسف، وكانت تهمة الإرهاب هي التهمة التي دائما ما تلصق بالإسلام عنوة، وسرعان ما ينتصر الإسلام ويثبت للعالم أنه دين سلام ورحمة ولم يبعث رسوله الكريم صلوات الله عليه وسلم إلا رحمة للعالمين مصداقا لقوله الكريم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 107] وكانت بعثته من أجل إرساء القيم الإنسانية فهو القائل «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وفي هذه الحلقات سوف نبرز سماحة الإسلام ونكشف كم هو بريء من تهم الإرهاب والعنف والتطرف مع عدد من المتخصصين في الفكر الإسلامي.

يؤكد الدكتور عصمت نصار أستاذ الفلسفة الإسلامية والفكر العربي بكلية الآداب بجامعة بني سويف، أن للفلسفة اثرا كبيرا في التصدي لخصوم الإسلام، وكان أكبر الكتاب الذين ردوا على الغرب في هجومهم الضاري عن الإسلام واتهامه بالإرهاب والتخلف كانوا كتابا من دارسي الفلسفة،

وهنـاك أخطـاء بالجملة حـول مفاهيم الجهـاد، خصوصا ما يسـمى بالجهاد المسلح، فأصل الجهاد المسلح الخوارج، ما دفع الماسونيين والذين لا يريدون بالعـالم العربي والإسـلامي خيرا اسـتغلالها والعمل على زرعها بين الشـباب وتغذية عقولهم بهذه الأفكار البعيدة كل البعد عن جوهر الفكر الإسلامي، أو النهضة الإسـلامية، فالجهاد في الإسلام كان مقتصرا على الدفاع ولم يرفع السـيف في الإسلام سوى للدفاع. وتطرق نصار إلى فكرة الخلافة مؤكدا أنها صعبة التنفيذ اليوم في ظل التحديات، متسائلا أين أهل الحل والعقد لاختيار؟ مشـيرا إلى أن نظام الخلافة الموجود عند تنظيم «داعش» لا يمت الإسلام بأي صلة، ومنظور الجهاد لديهم يخالف المقصد وجوهر الجهاد في الإسلام، مؤكدا أن «داعش» سـلالة الجماعات والفرقة القديمة التـي بثت التطرف لمثل هذه الجماعـات التي غالبا ما تكون صناعة لبعض دوائر الغرب التي تسـتغل مثل هذه الأفكار المتطرفة لبث الفتن ونشر الفكر الإلحادي من أجل منع انتشـار الإسلام.

ويضيف: هنـاك قاعدة متفق عليها «لا يمكن تغيير منكر بمنكر أشـد» مشـيرا إلى حديـث الرسـول صلـوات الله عليه وسـلامه عندما قـال **«نأمر بالمعـروف بغـير منكر وننهى عـن المنكر بالمعروف»** وأن مسـألة مكافحة المنكر بالقوة حق الحاكم، وكل المذاهب الإسلامية أكدت على أهمية حفظ الأمن في المجتمع وعدم منع سـفك الدماء تحت اسـم الجهاد المسـلح. وأشار نصـار إلى أن أبو الأعـلى المودودي في بدايـة دعوته كان ينادي بمـا ينادي به الحشاشون بفرض العقيدة الإسلامية على أنها العقيدة الصحيحة ضد البوذيين والفوشيين والمسيحيين والكفار أي القتال و إعلان الخلافة، وعندما استقلت باكستان عن الهند، تغير من النقيض إلى النقيض، وانضم لأكبر حزب علماني

في باكستان، وأصبح من المعتدلين وألف كتابه الشهير «**الجهاد في الإسلام**» كان ردا على المهاتما غاندي عندما نقل عنه قوله بأن الإسلام انتشر بحد السيف، واستطاع أن يثبت المودودي إن الإسلام لم ينشر بالسيف. وأشار أيضا إلى أبو الحسن الندوي عندما أراد تطبيق الشريعة الإسلامية اكتشف أن تطبيق الشريعة سيخلف آلاف الضحايا في بنجلاديش فتراجع وراح يدعو بالتي هي أحسن والموعظة الحسنة. لم يذكر في التاريخ الإسلامي أن هناك من دمر منازل أو أحرق كنيسة أو معبد، بل العكس كان الإسلام رحيما بأعدائه بشكل أذهل الأعداء أنفسهم.

وهناك بعض النصوص في التراث الإسلام يجب فهمها فهما صحيحا، وأن من ينقلها يجب أن يكون عالما بمعنى الكلمة، مطالبا بعدم صعود الدعاة على المنبر وهم ليسوا مؤهلين بالشكل المطلوب، ولذلك طالب نصار بضرورة تدريب الدعاة على الفكر الفلسفي ومنحهم دورات حول الدراسات الفكرية والعقلية حتى يكون هناك داعية مواكب للعصر ويقف أمام الحملات الشرسة ضد الإسلام والذين يحاولون بث أفكار متطرفة تخلق لنا جماعات متطرفة تهدد أمتنا العربية والإسلامية.

الفلسفة والدفاع عن الشبهات

يؤكد العلماء أن الفلسفة الإسلامية، لعبت دورا كبيرا في الرد على المستشرقين الذين حاولوا التشكيك بالإسلام، والتاريخ يشهد على دور الفسلفة في هذا المضمار، وكان لها دورها الكبير خلال العصور السابقة، وكان أهمها محاولة الرد العقلي على خصوم الإسلام بواسطة استخدام نفس

الأدلة والحجج التي اعتمد عليها هؤلاء بعيدًا في معظم الأحيان عن النصوص الدينية لعدم اعترافهم بها، وهذا ما أكده الدكتور حامد طاهر في احد أبحاثه والذي تطرق فيه إلى محاولة الرد على خصوم التيار العام المسمى بمذهب أهل السنة والجماعة، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما قام به أبو حامد الغزالي في الرد على طائفة الباطنية في كتاب شهير ومفحم عرف بعنوان «فضائح الباطنية»، وكان من أدوار الفلسفة الإسلامية الرئيسية محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة التي وفدت على العالم الإسلامي في مطلع الاحتكاك الثقافي الذي تم بين مختلف الشعوب والحضارات على عهد الدولة العباسية، أما الدور الهام والذي لم يلق عليه حتى الآن ضوء كاف من الدارسين، فهو انتشار علم المنطق الأرسطي في دوائر التعليم، والإفادة منه في حركة التأليف العربية التي شاعت في كل المجتمعات الإسلامية.

وكانت كتب مثل «الإسلام دعوة عالمية» لعباس محمود العقاد الذي رد فيه بمنطقية شديدة على خصوم الإسلام أن هذا الدين لم يأت لقوم دون الآخر بل جاء للبشرية جمعاء فيقول الباحث محمود احمد العقاد في مقدمة الكتاب المشار إليه إن فترة الحرب العالمية الثانية وما تلاها كانت فترة فيها الحيرة والشكوك فراح العقاد يصدر كتبه عن الإسلام والمسلمين وكان كتابه «الله» الذي صور نشأة العقيدة الإلهية منذ اتخذ الإنسان ربا إلى أن عرف الله الأحد واهتدى إلى نزاهة التوحيد، وراح العقاد يدافع عن الإسلام ويكشف مؤامرات الاستعمار وكيده للمسلمين ثم ثبت حقائق الإسلام ويزهق أباطيل خصومه، ويفرد للمرأة كتابا هو «المرأة في القرآن الكريم» وللإنسان آخر هو «الإنسان في القرآن الكريم».

سلاح التشكيك

أوضح الدكتور عصمت أن الغرب راح يشكك باللغة العربية كبداية للتشكيك بالقرآن والسنة، كون اللغة العربية لغة القرآن، والقرآن عصب الإسلام، وهذه المحاولات لم تكن وليدة عصرنا الحالي بل هي وليدة الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومع بدايات حركة الغزو الفكري الغربي الاستعماري الذي حاول طمس الهوية العربية الإسلامية، عن طريق تشويه التراث العربي والإسلامي والتشكيك في قدرته على مواكبة التطور والنهضة العلمية الحديثة، كما أن المفكرين في عالمنا العربي انقسموا إلى ثلاثة اتجاهات أولها الاتجاه السلفي الذي يرى أنصاره في المحافظة على التراث العربي الإسلامي السبيل الأوحد لوحدة الأمة العربية وبقائها، ولذا حاولوا البحث في التراث بروح حضارية تربط الحاضر بالماضي، مع العودة إلى صلب العقيدة، وهناك الاتجاه التغريبي والذي يرفض التراث في معناه الشامل باعتباره من أخطر معوقات النهضة، التي لا سبيل إلى تحقيقها إلا بمتابعة خطى الحضارة الغربية، كونهم يرون أن التراث مجرد تسجيل لأوضاع اجتماعية وثقافية وسياسية معينة، وهناك الاتجاه الثالث الذي يتخذ موقفا بين هذين الاتجاهين، إذ يسعى إلى التوفيق بين قيم التراث والحضارة الغربية.